خيارات المقاومة العراقية وعملية نقل السيادة 'الشكلية' (2)

26-6-2004

إن الاعتماد أو الاقتصار على العمليات المسلحة سيفقد المقاومة ومناهضة الاحتلال العمق السياسي والاجتماعي المطلوب، وربما يدفع بها إلى هامش صوغ المستقبل السياسي العراقي؛ من هنا تبدو الحاجة ماسة اليوم لتعانق الجهاد العسكري مع الجهاد المدني السلمي، الأمر الذي يدفع ابتداء إلى إعادة تريب البيت السني الداخلي، ووضع المقاومة المسلحة في خدمة المشروع السياسي، ثم البحث عن الشريك

بقلم محمد سليمان

مواد ذات علاقة

خيارات المقاومة العراقية وعملية نقل السيادة 'الشكلية' (1)

تدفع التحولات الأخيرة في المشهد العراقي إلى بناء قراءة جديدة تستند إلى عدة قواعد رئيسة أبرزها تعريف مواقف الفئات والتكوينات الاجتماعية والسياسية المختلفة في الساحة العراقية، إعادة قراءة الحالة الداخلية للسنة بشكل عام لما لها من أثر كبير على مشروع المقاومة المسلحة، وتقدير بدائل وأدوات العمل المطلوب للتعامل مع المرحلة القادمة، وتحديد الأهداف متوسطة المدى والقريبة والتي تشكل المراحل المتتالية للوصول إلى الأهداف الكبرى وهي التحرير والاستقلال والنهضة.

إن الاعتماد أو الاقتصار على العمليات المسلحة سيفقد المقاومة ومناهضة الاحتلال العمق السياسي والاجتماعي المطلوب، وربما يدفع بها إلى هامش صوغ المستقبل السياسي العراقي؛ من هنا تبدو الحاجة ماسة اليوم لتعانق الجهاد العسكري مع الجهاد المدني السلمي، الأمر الذي يدفع ابتداء إلى إعادة تريب البيت السني الداخلي، ووضع المقاومة المسلحة في خدمة المشروع السياسي، ثم البحث عن الشريك الوطني العراقي، وتفعيل مؤسسات المجتمع المدني للقيام بدورها في خدمة مشروع المقاومة.

في ضوء ما سبق، فإن الاستراتيجية المطلوبة للمقاومة تعتمد على تعدد الأدوات وتنوعها في إطار خيار الجمع بين المقاومة المدنية والعسكرية، وتبدو معالم الاستراتيجية على النحو التالي:

-1-

العمل على ترتيب البيت السني من الداخل:

من خلال تعزيز حالة الوحدة والتوافق الفكري، ومحاولة تشكيل نسق سياسي وفكري عام يجمع مختلف القوى السياسية، وخاصة الإسلامية، وذلك لتقوية تمثيل السنة، ومنع محاولات الاختراق الأمريكية الجارية على قدم وساق. في هذا الإطار لا بد من استمرار محاولات إقناع الحزب الإسلامي بالانسحاب من المشاريع المشبوهة لسلطة الاحتلال (كمجلس الحكم سابقا)، والبقاء بعيدا عن دائرة الاحتلال الأمريكي، والتأكيد على جمل محددة واضحة: تعريف الوجود الأمريكي بأنه احتلال غير مشروع وغير مقبول، التأكيد على حق الدفاع عن النفس المكفول بكافة القوانين الأرضية والشرعية، التأكيد على وحدة العراق ونبذ النزعات الطائفية، دعم المقاومة المسلحة وترشيدها. أما إذا أصر الحزب الإسلامي على البقاء في السلطة، فلا بد من التواصل معه والتشاور لتنسيق المواقف السياسية وتحديد المصالح والمفاسد المرتبطة بتطور الأمور .

وتبدو الخطوات في هذا الاتجاه جيدة ومتقدمة من خلال مجلس الشورى، ومن خلال التواصل بين القوى السياسية، وكذلك وجود روابط بين المقاومة المسلحة وهيئة العلماء السنة، الأمر الذي لا بد أن يترشح عنه وحدة العمل السياسي السني، وتكامله.

-2-

ترشيد المقاومة المسلحة:

يرتبط بالهدف السابق ضرورة ترشيد المقاومة العسكرية ودعمها، وتحديد أهدافها السياسية، الأمر الذي يساهم في توجيه العمليات العسكرية وخدماتها، وتكامل الأدوار بين الجهاد المدني السلمي والجهاد العسكري، وهنا لا بد من تعميق الصلة والروابط بين هيئة العلماء والعمل العسكري، وذلك لتجنب الوقوع في منزلقات أو فتاوى شرعية خاطئة تؤدي إلى أعمال تجر سخطا أو غضبا على السنة.

كما لا بد من بناء الخطاب الفكري والثقافي المساند للمقاومة المسلحة، والذي يشكل عمقا معنويا واجتماعيا وثقافيا لها، وتقع مسؤولية صوغ هذا الخطاب وبناء هذه الثقافة على العلماء والمثقفين العراقيين الإسلاميين والوطنيين .

يثار في هذا السياق موضوع العمليات المسلحة داخل المدن والأحياء الشعبية، واتخاذ المقاومة العسكرية لاستراتيجية المواجهات المباشرة مع الاحتلال داخل المدن، كما حدث في الفلوجة مؤخرا، وعلى الرغم من النصر الحقيقي والقوي الذي تحقق في الفلوجة إلى أن مقدار التضحيات والنزيف الذي بذل كان كبيرا، ومكلفا للغاية. ومن الواضح أن عملية إثارة الصراع بين قوات الاحتلال والأهالي كانت هدفا وغاية من غايات المقاومة وتم بالفعل استدراج الاحتلال للدخول في صدام مع المجتمع، وعسكرة وجوده، وهذا أسلوب ثوري قوي وفاعل، ومعروف في الحروب والتقاليد الثورية، إلاّ أن هناك الكثير من الضوابط الشرعية والأخلاقية التي تحدد هذا الأسلوب، الأمر الذي يدفع مستقبلا إلى تحديد أكبر أدق للمصالح والمفاسد من وراء المواجهات المسلحة، والتنسيق مع القوى والفعاليات الإسلامية السياسية على هذا الصعيد .

-3-

البحث عن الشريك الوطني والإسلامي:
من الأولويات المطلوبة من أهل السنة وبالتحديد الحركات الإسلامية التي تتولى قيادتهم عملية البحث عن الشريك داخل الفئات الأخرى، وخاصة الشيعة، وذلك لمحاولة تجاوز الصراعات الطائفية وبناء القواسم الدينية المشتركة.
وفي إطار القراءة الحالية للواقع العراقي، والذي يشكل امتدادا لخبرة عقود طويلة من غياب التيار الوطني الناظم لشرائح المجتمع المختلفة، فإنه من الصعب تصور قيام هذا التيار مرة واحدة، وإنما يحتاج الأمر إلى وقت ومراحل وتطور كي نصل إلى حالة الاندماج الوطني والشعور الديني الوطني الموحد للجميع .
إلاّ أن القوى الإسلامية السنية مدعوة في البداية إلى إدراك خطورة هذا التحدي، والبحث على الجوامع الدينية والوطنية الموحّدة والتي تشكل موضع اتفاق، وعلى بناء جسور من الصلة والتنسيق مع الطوائف المختلفة والفئات المتعددة. وإذا كانت هناك مؤشرات واضحة على وجود حالة من التفاهم والتواصل، خاصة بعد الحوادث التي تهدف إلى إحداث حرب أهلية من خلال وجود خطاب "تسامحي" يدعو إلى تجاوز الآلام والارتفاع عليها وتفويت الفرصة لحدوث حرب أهلية؛ إلاّ أنّ هذا التواصل غير كافٍ وإنما لا بد أن يتطور لتنمية الشعور الوطني والتأكيد على الوحدة الملية والوطنية، وعلى مفهوم الأخوة الإسلامية ومفهوم "المواطنة" والمسؤولية المدنية والأخلاقية في مواجهة الاحتلال والنزعات الطائفية .
ومواجهة هذا التحدي تتطلب كذلك وجود حوار جدي وعميق مع قيادات من الطوائف الأخرى حول مستقبل العراق ما بعد الاحتلال، في محاولة للوصول إلى توافق وطني عام على طبيعة صوغ المجال السياسي بعيدا عن الاحتلال، من خلال التوافق والتراضي على حقوق الأقليات وعلى الحرية الدينية، والخصائص العامة لنظام الحكم المقترح . بمعنى آخر: تقديم البديل السياسي عن المشروع الأمريكي، وسيساهم هذا البديل في التقليل من المخاوف المتبادلة، والحد من التفكير الطائفي.
كما يستدعي الأمر كذلك بناء خطاب إعلامي سني يخاطب فئات المجتمع المختلفة، ويدفع عنها المخاوف والهواجس، ويعزز مفاهيم المشتركات الدينية والوطنية والاجتماعية، ويذكرها بالمسؤولية الدينية والتاريخية والوطنية بمقاومة الاحتلال، وبضرورة استلهام ثورة العشرين التي توحد فيها الدم العراقي – دون تفريق – في مواجهة الاحتلال البريطاني.
-4-
الجهاد المدني السلمي:
لابد من توافق المقاومة المسلحة مع عمل سياسي إسلامي مدني، يوضح ويشرح أهداف العمل العسكري ويسنده، كما أنه يفتح المجال لبروز قوة سنية ذات أساس اجتماعي متين، لها رموزها وقياداتها، معروفة على المستوى الداخلي، وتنتقل إلى المستوى الإقليمي والدولي، لتؤكد على حق العراقيين في الدفاع عن النفس ومواجهة الاحتلال. ويمكن أن يكون مجلس الشورى لأهل السنة والجماعة نواة لهذا العمل السياسي المدني المشترك .
في هذا السياق من الضرورة أن تساهم مؤسسات المجتمع المدني بشكل قوي في دعم أهداف العمل السياسي، عن طريق تعزيز حضورها في المجتمع العراقي، وتوزيع مجالات وسياقات العمل السياسي بين عدة اتجاهات متكاملة: مؤسسات حقوق الإنسان، مراكز الأبحاث والدراسات، النقابات المهنية، الأندية الأدبية والثقافية، الجمعيات الخيرية والأهلية ..الخ.
ويمكن لعدة مؤسسات أهلية أن تقوم بدور رائد في هذا المجال، والاستدراك على الأمراض والمشكلات الاجتماعية ومعالجتها من خلال العمل الإسلامي الإصلاحي والدعوي، والذي لا يجب أن يغيب عن هذه المرحلة، بل هو الرصيد الكبير لها، إذ أنه يساهم في تقوية الدين وحضوره في المجتمع، وجعله رافدا رئيسا في بناء اليقظة الشعبية الدينية. ويشار في هذا السياق إلى دور المساجد والمجلات والكتب الدعوية في نشر الخطاب الإصلاحي في المجتمع .
كما يمكن أن تساهم مؤسسات المجتمع المدني من خلال التواصل مع المجتمع المدني العربي والعالمي في التعريف بالانتهاكات الأمريكية لحقوق الإنسان، وفي الدفاع عن قضية العراق العادلة، وحق الشعب في المقاومة وتقرير المصيرؤ والحصول على الدعم العربي والإسلامي المطلوب، واختراق العزلة الجزئية البادية اليوم على المقاومة المسلحة العراقية من خلال الجهود الأمريكية لمنع وصول الدعم اللوجستي والسياسي إليها.
وهنا تقع مسؤولية كبرى على المجتمع المدني العربي والحركات الشعبية الفاعلة اليوم في ضرورة دعم المقاومة المسلحة، ومناصرة أهل السنة الذين يقومون بدور ريادي في مواجهة الاحتلال والحفاظ على وحدة الشعب العراقي.
وبعد..
يبدو أهل السنة اليوم بمثابة الحالة المتقدمة في وعي المجتمع العراقي بطبيعة المرحلة ومصادر التهديد الخطيرة التي تحيق بهم، وطبيعة المشروع الصهيوني الذي يختبئ خلفه، وعلى الرغم من نجاح السنة في اختراق كثير من المخططات الأمريكية، وتحقيق انتصارات سياسية وتاريخية وعسكرية عميقة ومؤثرة، إلى أن الولايات المتحدة ما زالت تمسك بكثير من أدوات الصراع وأوراقه، وأبرزها الورقة الكردية، والتحالف مع الشيعة.
إن النموذج الأنسب للتعامل مع الاحتلال والحالة العراقية اليوم هو نموذج الاستراتيجية بعيدة المدى متعددة الأبعاد، والعمل السياسي طويل الأمد، ووضع الأهداف المرحلية والانتقال منها إلى أهداف أخرى وصولا إلى تحقيق الأهداف العليا المتمثلة في التحرير الكامل والوحدة والنهضة المطلوبة.
يبدو أن الاحتلال الأمريكي فرصة مناسبة اليوم ليكون مهمازا يدفع الوعي الإسلامي السني لحالة من الإبداع على المستوى السياسي والفكري والعسكري، وما ظهر إلى الآن من قبل المجتمع السني العراقي مبشر بمستقبل أفضل وبوعي عميق بطبيعة المرحلة وتحدياتها.

للعودة للأعلى